روزاليوسف 2
rose al youssef
إشراف : محمود سماحة

السفيرة إيناس مكاوى:
تروى لنا سيرة
مسحراتى المحروسة

46 عامًا
على وفاتها
أم كلثوم
لم ترحل يومًا

رامز .. مقاتل هزم «الصمم»

رغم مرور 46 عامًا على وفاتها حفلات كوكب الشرق "كومبليت" بعد عودتها بتقنية "الهولوجرام"

أهل الحب صحيح مساكين.. قصة أشهر عاشقَين للست

إسلام عبدالوهاب

هى المعشوقة التى غنت للحب.. أحبها الشعراء والملحنون والجمهور..
كل فى فلك الحب لها يسبح!
منهم من مات على (الآهات) ومنهم من ينتظر !!
لا تزال قادرة على دهشتك رغم الرحيل فهى من قالت أهل الحب صحيح مساكين.. غنتها كما كتبها مرسى جميل عزيز من ألحان المبدع بليغ حمدى ليشكلوا -الثلاثة- (سيرة الحب) التى يجب أن تروى من خلال السطور التالية.

فى الثالث من فبراير عام 1975 استيقظ المصريون والوطن العربى بأكمله على أخبار متناثرة نشرتها الصحافة المصرية آنذاك حول تدهور الحالة الصحية لكوكب الشرق أم كلثوم.

■ **الرحيل بداية الخلود!**

صبيحة اليوم التالى فى الرابع من فبراير كانت الفاجعة من خلال رحيل (الست).. أفردت جريدة الأخبار، فى مانشيتها الرئيسى بالصفحة الأولى «ماتت أم كلثوم» اضطربت دقات القلب.. ثم أبطأت.. وتوقفت الحياة الساعة الرابعة وثلاثين دقيقة.. قصة الصراع بين أم كلثوم والموت فى 100 ساعة».

وأضافت فى العنوان الرئيسى فى الجريدة: «الجنازة غدًا الأربعاء الساعة 11 صباحًا من مسجد عمر مكرم»، وقالت فى عنوان رئيسى آخر، وصف لحظات وفاتها الأخيرة: «مع أم كلثوم لحظة الموت.. اندفع الأطباء إلى غرفة الإنعاش فى جنون وبعد دقائق كان البكاء يملأ المستشفى كله».

جريدة الأهرام عنونت مانشيتها الرئيسى «مصر تودع أم كلثوم اليوم».. مضيفة فى صفحتها الأولى: «تودع مصر اليوم أم كلثوم.. يُشارك شعب مصر فى توديع كوكب الشرق ممثلون لمختلف الدول العربية، وتنقل محطات الإذاعة والتليفزيون على الهواء مباشرة حفل أم كلثوم الأخير مع شعبها الذى أعطته كل مشاعر الحب والاحترام والسعادة والأمل على امتداد 50 سنة ويحيط بها اليوم وهى تغادر مسرح الحياة الكبير بكل مشاعر الإجلال والاحترام والتقدير.

هكذا كانت الوفاة، فكيف كانت الحياة لمن أطلق عليها هرم مصر الرابع؟

وإذا كان الرحيل هو بداية الخلود.. فحياة أم كلثوم هى حياة استثنائية والسطور لن تتسع للحديث عن نشأتها وقصة دخولها الفن فهو أمر معروف للعامة.. ولكن الحديث عن قصص الحب فى حياة كوكب الشرق يستحق أن يروى؛ خاصة لو كان الكلام على

حوار نادر مع «أحمد رامى» فى الذكرى الأولى لوفاتها يكشف أسرارًا ومفاجآت عن حياتها الشخصية والفنية

لسان العاشقين.. وهنا اختار عاشقان لكوكب الشرق الأول حى يرزق بيننا والآخر ودع دنيانا مكتئبًا على رحيل الست»!

■ لغز أم كلثوم

يقول رجاء النقاش فى كتاب مهم جدًا بعنوان « لغز أم كلثوم» فى فصل «الزواج المستحيل»:

كان حب الشاعر أحمد رامى لأم كلثوم حبًا حقيقيًا وكبيرًا ونادرًا، وكان هذا الحب هو مصدر أغانيه الجميلة التى كتبها لها من وحيها، وقد بلغ عدد هذه الأغانى فيما يقول بعض المؤرخين 137 أغنية من بين 283 أغنية غنتها أم كلثوم طيلة حياتها الفنية.

ويكمل رجاء النقاش قائلاً: «لقد تشكك البعض فى قصة الحب التى شاع أمرها وقالوا إن رامى كان يحبها حبًا خياليًا مصطنعًا لكى يساعده ذلك على أن يكتب القصائد، ولكن هل يمكن أن تخرج هذه الأغانى من قلب لا يحب؟

ويكمل رجاء النقاش الذى قال: (لا شك أن أم كلثوم كانت تدير قصة الحب العجيبة بينها وبين رامى وقد أدركت أم كلثوم بعبقريتها منذ البداية أن رامى نبع صاف من الفن الرقيق والعذب الصادق، وأدركت أن اشتعال عواطفه هو المحرك الأساسى لفنه، وكان رامى كما عرفته أم كلثوم متصوفًا فى حبه وفى حياته كلها، لذلك حرصت أم كلثوم على أن يبقى رامى فى حياتها شاعرًا عاشقًا يغنى ويبدع ويفرح ويتألم، ويعنى كل مشاعر الحب القوية الساخنة ولا ينتصر على آلامه العاطفية إلا بتحويلها إلى أغان رائعة.. أما انتقال رامى من موقع العاشق الشاعر إلى موقع «الزوج» فمعناه أن يتوقف عن كتابة أغانيه لأن الزواج يجعل الحب قصة خاصة باثنين لا حق لأحد أن يعرف شيئًا عن أسرارها!

■ ماذا قال رامى عن ثومة؟

قد تتساءل: ماذا قال رامى عن كوكب الشرق وهل بالفعل اعترف بحبه للست؟.. الإجابة على لسان رامى نفسه فى حواره النادر والحصرى مع الكاتب الكبير مدحت السباعى قبل أكثر من 40 عامًا والذى نشرته مجلة «صباح الخير» فى الذكرى الأولى لرحيل كوكب الشرق والذى أنقل منه المقدمة البديعة المليئة بالشجن، وأنقل أيضًا بعض المقتطفات حول علاقة رامى العاطفية بالست.

فى مقدمة الحوار كتب مدحت السباعى: (وأخيرًا.. يتكلم أحمد رامى عن أم كلثوم.. طوال عام كامل منذ أن رحلت عنا كوكب الشرق وأحمد رامى يرفض الحديث عنها فى أى صحيفة أو مجلة.. وكثيرون حاولوا استدراجه إلى حلبة الحديث، ولكنه كان يأبى ويرفض رفضًا قاطعًا.. وكل ما فعله خلال هذا العام هو أنه كتب قصيدة ونشرها فى رثاء أم كلثوم.

وأحمد رامى رافق أم كلثوم فى رحلتها الفنية أكثر من نصف قرن، وكتب لها خلالها نصف ما شدت به من أعمال غنائية خالدة وكان يتأهب لسماعها

بخلوة وكأنه داخل معبد.

وربما لا يعلم الكثيرون أن أحمد رامى منذ أن رحلت عنا أم كلثوم أصيب أربع مرات بمرض الاكتئاب، وكان بسبب ذلك يؤثر الوحدة والابتعاد عن الناس، ولا يرغب فى الحديث عنها مع أحد حتى من أهل بيته.. بسبب ما قد يتركه هذا الحديث من آثار سيئة على نفسيته.

ذهبنا إليه.. والذكرى السنوية الأولى لرحيل فنانة الشعب تقترب وتفيض معها النفس بمشاعر الشوق والحنين، والذكريات لأمسيات لا تتكرر.

طرقنا الباب على غير موعد.. كان أحمد رامى فى خلوته.. ودار نقاش طويل.

كان أحمد رامى مصممًا على ألا يتكلم عن أم كلثوم.. فما يحمله لها من ذكريات أقوى من أى محاولات للتعبير عنه بالكلام.

ولكن فى النهاية.. أمام منطق (إن من حق القارئ، فى الذكرى السنوية الأولى لأم كلثوم أن يسمع رأى رامى.. بعد أن سمع رأى الكثيرين)!

وافق أن يتكلم..

وهذا هو نص الحوار الذى أجراه مدحت السباعى.

ما سبق هى المقدمة التى نشرت فى مجلة «صباح الخير» فى الذكرى الأولى لرحيل كوكب الشرق ولأن الحوار كان كبيرًا تحدث فيه رامى عن علاقته بكوكب الشرق فى مختلف مناحى الحياة أعرض فى السطور التالية ما يتعلق بمشاعر الحب التى جمعت رامى والست.

■ أتذكر آخر مرة رأيت فيها أم كلثوم ؟

– صمت رامى فترة غير قصيرة.. وبدا الغضب والضيق واضحًا على وجهه ثم أشاح بيده وقال:

بسبب هذه الأسئلة لم أكن أود الحديث مع الصحفيين.. إننى أحاول الهرب من مثل هذه الذكريات وصراحة أنا لا أحب الحديث فيها مع أحد.

ومرت فترة صمت طويلة.. ثم تحدث وهو ينظر فى اتجاه آخر وقال:

«أنا لن أنسى آخر مرة سعدت فيها بلقائها.. لقد كنت فى زيارتها أثناء مرضها الأخير وأردت الانصراف فأبت إلا أن تقوم هى وأحد أقاربها بتوصيلى إلى منزلى إشفاقًا علىّ من الإرهاق فى إيجاد سيارة توصلنى إلى منزلى، وقد أبيت هذا أول الأمر ولم أقتنع برأيها إلا بعد أن أبدت لى رغبتها فى تغيير المنظر واستنشاق الهواء.. وصحبتنى رحمها الله إلى باب منزلى وودعتها شاكرًا وكان توديعى لها إيذانًا بحرمانى من رؤيتها بعد ذلك، وقد حاولت أن أراها.. حاولت كثيرًا أن أراها، ولكن حال بينى وبين ذلك اشتداد المرض عليها ونصيحة الأطباء بعدم زيارتها.

■ فى آخر مرة رأيتها كيف كانت حالتها النفسية.. هل كانت يائسة من الشفاء؟

– لا، لم تكن يائسة لأنها مؤمنة ولم أجد دليلاً على لطف الله بها أقوى من أنها غابت عن الرشد أربعة أيام، ثم غابت عنا وهى لا تحس أنها تودع

«جورج بهجورى» يعترف بحبه لكوكب الشرق ويحكى قصة عشقه فى كتاب أيقونة أم كلثوم

الحياة.

ولا أنكر أن هذه الصدمة كانت شديدة علىّ لدرجة أننى آثرت البقاء وحدى فى منزلى لا ألبى دعوة إلى الحديث عنها أو الكتابة أو حتى الزيارة، وقد كنت أوثر أن أعيش معها راحلة بما علق فى خاطرى من صور عشرتنا الطويلة وكان من أثر هذه الخلوة قصيدتى فى رثائها التى نظمتها ودموعى تنحدر ولسانى يلهج باستدرار الرحمة عليها.

■ **قصة الحب بين جورج بهجورى وكوكب الشرق!**

قد تتساءل عن قصة الحب الأخرى التى لا يزال صاحبها يحكى عنها حتى يومنا هذا ومن عشقه لها رسمها عشرات المرات حتى أصدر كتابه عنها بعنوان (أيقونة أم كلثوم).

إنه الفنان العالمى جورج بهجورى والذى يقول لروز اليوسف: إن «حبه لكوكب الشرق قديم ومتجدد». وأضاف: «أنا فى قلبى كلام عن أم كلثوم ليس له نهاية، وفى ريشتى رسم يقول أهواك يا حبيبى».

يكمل بهجورى حديثه عن السيدة أم كلثوم: «سنوات طويلة وأنا أرسمها تغنى للحب، لكنها دائمًا تتفوق علىّ، وأجد أن رسوماتى لا ترتقى إلى صوتها، حاولت رسمها بخط واحد».

ومرة أخرى أجدنى أرسمها وأنا أسمعها تغنى فى أذنى، ثم محاولة أخرى لأرسمها أمام الشاشة الصغيرة، لكن الصوت والصورة يتفوقان على الرسم».

ويضيف: «قررت تأليف كتاب عن الست، جمعت فيه كل رسوماتى عنها. الكتاب اسمه «أيقونة أم كلثوم» ودائمًا ما أكون حريصًا على عرض لوحاتى عن أم كلثوم لأننى أحبها، وهل يوجد مصرى لا يحب كوكب الشرق؟

الكتاب يضم عشرات الرسومات للسيدة أم كلثوم، وفى مقدمة الكتاب يحكى بهجورى عن سر عشقه لكوكب الشرق.

■ **أم كلثوم تعود من جديد!**

أساطير الحب التى أحاطت أم كلثوم التى عشقها كل من عمل معها سواء كتب لها كلمات أو لحن لها، وتنافس الجميع على إرضائها لشخصها وليس لنيل جانب من شهرتها، كان السبب الحقيقى فى خلق أغانٍ عاشت لعقود وسوف تعيش لقرون لأن كل أغنية هى نتاج لأسطورة وخلفها مشاعر حقيقية وقصة تصلح لصنع مئات الأغانى والأعمال الفنية.

46 عامًا ولا تزال أم كلثوم قادرة على دهشتك ولا عجب فى ذلك؛ فهى الوحيدة التى يجتمع على سماعها كل الأجيال وكأنهم يستمعون لأحدث أغانيها وكأنها تذاع لأول مرة فتصنع معجزة أخرى ولا نعنى بالمعجزة أنها عادت من جديد فى مطلع العام الماضى من خلال تقنية الهولوجرام، وذلك خلال فعاليات مهرجان شتاء طنطورة الثقافى بمدينة العلا فى السعودية.

لكن المعجزة أن تجد جميع الحفلات محجوزة وكاملة العدد بمجرد طرح التذاكر وتجد الحضور مستمتعين بالأغانى:

(أنت عمري، وألف ليلة وليلة، وسيرة الحب، ولسه فاكر، ودارت الأيام، وأنساك) وتستمر المعجزة وتتكرر بعد هذه الحفلة بعد أن توالت حفلات الست فى كل من مصر والإمارات بعد أن استضافت أوبرا دبى السيدة أم كلثوم فى ليلة طرب أصيل باستخدام تقنية الهولوجرام.

ولا مجال للعجب أن تحقق النجاح ذاته فى بلدها مصر ووسط جمهورها الأصيل إذا كانت نجحت فى الدول العربية، فقد ظهرت كوكب الشرق بالهولوجرام فى مدينة شرم الشيخ أيضا على مسرح منتدى شباب العالم، وهى تغنى «أنت عمرى» وفى قصر عابدين وكانت الحفلات كاملة العدد أيضًا وكأنها لم تمت ولم ترحل يومًا وتمارس خطتها الفنية المعتادة بأن تجوب الوطن العربى والعالم تقيم الحفلات وتحصد النجاح فى كل مكان.. هكذا لا يزال سحر كوكب الشرق قادرًا على العطاء بعد الرحيل.. سحر صنعه حب صناع المهنة لأم كلثوم وحب الست للفن وحب الجمهور لكوكب الشرق وكل من صنعوا لها هذه الأغانى بالحب.. هذه هى سيرة الحب.. سيرة أم كلثوم. ■

حكايات 1900 الحلقة الخامسة

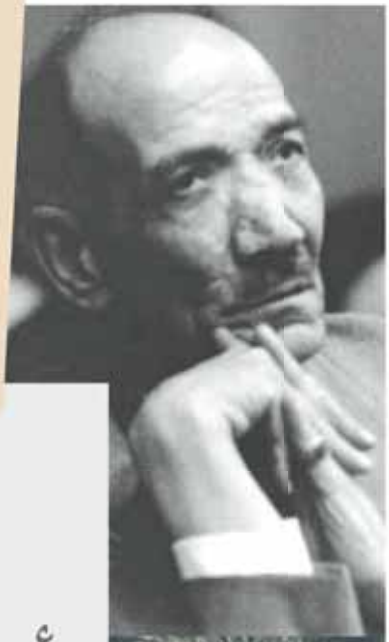

قصص تاريخية وثقتها الصحافة المصرية

أم كلثوم تغنى لحن بائع زيتون ومكوجى ينحول لشاعر شهير

حلقات يكتبها:

مصطفى ماهر

كثيرًا ما تعطى التجارب الواقعية جاذبية وقوة أكبر للفن، تجعله يعيش بداخل قلوب الناس عشرات السنوات.. ويمكن أن يكون ذلك أحد أبرز أسباب استمرار الحياة فى أغنيات أم كلثوم وكبار فنانى القرن الماضى، لذلك كان من الطبيعى أن نستمع إلى لحن من تأليف بائع زيتون، أو كلمات أغنية من إبداع «مكوجى»!

فى مطلع ثلاثينيات القرن الماضى، كانت أم كلثوم فى عز مجدها الفنى.. يتنافس على الكتابة والتلحين لها كبار المؤلفين، وفى ذلك الوقت قدم لها شاعرها المُفضل أحمد رامى طقطوقة جديدة تغنيها ومطلعها يقول: (تراعى غيرى وتبتسم.. وأنا ذنبى إيه.. وتسيبنى من غير ما تسلم، ماعرفش ليه!).

جلست أم كلثوم تقرأ كلمات الطقطوقة مرارًا وتكرارًا، حتى قررت أن تغنيها، لتختار المحلن محمد القصبجى الذى يستطيع بسهولة صنع لحن مميز لكلمات الأغنية، ووعدها بأن يكون اللحن جاهزًا فى اليوم التالى.

أخذ القصبجى كلمات الأغنية من أم كلثوم، وذهب إلى منزله فى شارع الخليج المصرى (شارع بورسعيد الآن بالقرب من منطقة باب الخلق)، وجلس بمفرده يفكر فى لحن يليق بأم كلثوم، وهو الذى لحّن لها معظم أعمالها. لكن للأسف لم يتمكن من التقاط أى لحن مناسب للطقطوقة الجديدة، إلى أن اضطر للاتصال بأم كلثوم، يطلب منها أن تعطيه يومًا إضافيًا حتى يُنجز اللحن، لكن اليوم أتى بيوم آخر ثم جاء بيوم ثالث، والقصبجى لاً يستطيع تلحين الأغنية، وقرر أن يعتذر

سيد مرسى

القصبجى

سار على قدميه من باب الخلق لقلعة الكبش حتى يجد لحنًا يناسب كوكب الشرق

عن هذه المهمة الصعبة.

وأثناء استعداد القصبجى للخروج من منزله قاصدًا منزل أم كلثوم فى الزمالك ليقدم لها الاعتذار، سمع بائع الزيتون الذى يمر أسفل منزله وهو يقول: (زيتون أخضر، يا حلو يا اسمر، تعالى عندى دوق الزتون).

القصبجى أهم ملحنى العالم العربى بهره لحن بائع الزيتون الذى يستخدمه فى النداء على بضاعته.. وحتى يستوعب القصبجى النغمة واللحن بشكل جيد، سار خلف بائع الزيتون من بابّ الخلق مرورًا بالحلمية ثم المنشية وحتى منطقة قلعة الكبش.

عاد القصبجى إلى منزله مجددًا ولم يذهب إلى أم كلثوم فى ذلك اليوم.. قرر أن يستخدم لحن بائع الزيتون مع كلمات أحمد رامى، وإضافة بعض التغييرات البسيطة، ليكتشف فى النهاية اللحن المناسب للطقطوقة التى كاد أن يعتذر عنها.

ذهب القصبجى إلى فيلا أم كلثوم وعرض عليها اللحن.. أعجبها كثيرًا ودفعت للقصبجى مقابل اللحن، لكن الملحن الشهير لم يتذكر بائع الزيتون بأى شىء من هذه الأموال، على الرّغم من أنه أنقذه، وأوحى له بلحن أعجب أم كلثوم.. وحتى يومنا هذا لا نعرف اسم ذلك البائع صاحب اللحن الأصلى.

قصة بائع الزيتون لم تكن الأخيرة فى الطرب المصرى.. فى الأربعينيات كانت هناك قصة عاطفية لا يعرف بها أحد سوى الطرفين اللذين يعيشان القصة.. مكوجى وفتاة تعمل كـ«شغالة» فى منزل الشاعر مأمون الشناوى.. الفتاة التى كانت تعشق المكوجى باتت أقل شغفًا من ذى قبل، وأصبحت لا تهتم به ولا تسأل عنه، فقرر المكوجى أن يُعبّر عن مشاعره بطريقته.

كتب المكوجى خطابًا ووضعه فى «جيب» بنطال مأمون الشناوى بعدما انتهى من كيّه.. وكان من المفترض أن تأخذ الفتاة الخطاب من جيب البنطال حتى تقرأه، ويعود إليها شغف الحب كما كان، لكنها لم تلمح الخطاب.

يضع الشناوى يده فى جيب البنطال، يجد الخطاب، يقرأه ويعجبه تعبيرات ومفردات الخطاب، وعَلم من الفتاة أن كاتب هذا الخطاب هو المكوجى.. يذهب الشناوى إلى المكوجى، ويقول له: «انت لازم تبقى تكتب أغانى، سيب اللى فى إيدك وتعالى».

ومن هنا أصبح المكوجى «سيد مرسى» واحدًا من أهم الشعراء فى تاريخ الأغنية المصرية.. وكانت أولى أغنياته «عالحلوة والمُرّة» لعبدالغنى السيد. ■

خطاب عاطفى فى بنطال مأمون الشناوى كان السبب فى أغنية «عالحلوة والمُرّة»

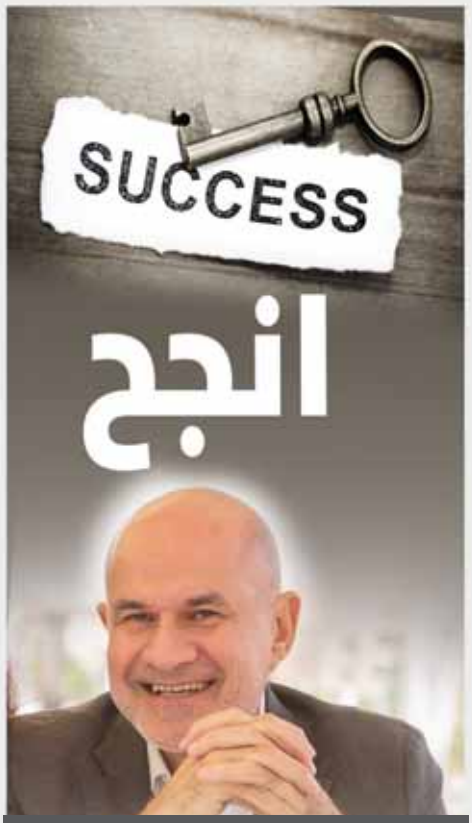

انجح

د. محمد قورة

هناك المئات من تعريفات للنجاح.. لكن التعريف الأقرب إلى الواقع هو إدراك الغاية مَهما كانت العَقبات، وهذا معناه أن النجاح مفهومه واحد، وهو تحقيق الهدف مَهما كانت المعوقات، لكن الغاية قد تختلف من شخص لآخر فقط فى نوعها، فقد تكون عِينيّة كالحصول على المال أو معنوية كنيل الاحترام أو حتى الشعور بالسعادة والرضا.

بل ذهب البعض إلى تعريف النجاح بأنه مقاومة الصعاب وتجاوُز المشاكل والصبر على المكاره، وبما أن النجاحَ عملية مستمرة باستمرار الحياة؛ فإن العَقبات ستستمر، ومن هنا جاءت فكرة «باب انجح»؛ حيث أشارككم كل أسبوع قصص نجاح من جميع دول العالم أبطالها شخصيات نجحت رُغمَ المعاناة؛ لتصبح صلبة فى مواجهة المعوقات والحرمان والألم، التى أصبحت فيما بعد ذكريات ووقودًا لمزيد من النجاح، لعلها تكون حافزًا ومثالا حيًا لكل إنسان يظن أن النجاحَ سهل؛ لنؤكدَ لهم أن النجاح والكفاح وجهان لعُملة واحدة.

أستاذ زائر بالجامعة البريطانية

السفيرة إيناس مكاوى 1

تروى سيرة مسحراتى المحروسة

صانع السعادة

هزم "العمى" و"العوز" بالإرادة والفطرة

أكثر من 24 عامًا مرّت على وفاته، ولايزال الناس يتذكرونه بشهر رمضان. فقد قدّم المُسَحّراتى عشرات غير سيد مكاوى إلّا أنه سيظل مُسَحراتى مصر الذى يفتقده الجميع، وهى واحدة من إنجازاته فى مسيرته منذ ميلاده إلى وفاته.

وُلدَ «سيد مكاوى» فى شهر مايو عام 1928، فى حارة قبَودان فى حى الناصرية فى السيدة زينب بالقاهرة. عاش ونَمَا فى وسط بسيط لأسرة فقيرة، وفَقَدَ البصرَ وهو طفل بعد إصابته بالتهاب فى عينيه، فعالجَته والدته بالطب الشعبى نظرًا لضيق الحال؛ حيث وضعت مسحوق البُنّ فى عينيه، ففَقَد بصرَه بالكامل.

الظلام الحقيقى لم يكن ظلام نور عينيه؛ وإنما ظلام الظلم الاجتماعى والأسَرى

سيد مكاوى مع والدته

لكنْ القَدَر الذى حرمه البصرَ جعل من نصيبه أن ينشأ فى الحى الذى خرج منه أعظمُ رُوَّاد الموسيقى فى مصر، ومنهم «عبده الحامولى ومحمد عثمان»، وخرج منه أيضا أعظمُ شعرائها، ومنهم «أحمد شوقى وأحمد رامى».

من مأذنة جامع الحنفى بالسيدة زينب جَلجَل صوته بالأذان، ولكنْ العود والموسيقَى سَحراه فخلع الجبّة والقفطان لكنه لم يخلع عنه لقب «الشيخ» الذى صاحب اسمَه طوال مسيرته ليكون ذا دلالة أخرى بخلاف الدلالة الدينية؛ حيث أصبح شيخ طريقة فى التلحين والغناء لا مَثيل لها.

وإذا كان «سيد مكاوى» قد رحل إلّا أن عينه التى كانت ترَى له كل شىء لاتزال حَيَّة تُرزَق، هى ابنته السفيرة «إيناس مكاوى» التى أسعدتنا بحكايتها عن سنوات الشقاء والنجاح والكفاح التى كانت شاهدة على معظمها ونقلت لنا عنه ما لم تكن شاهدة عليه بنفسها.

■ **الشيخ سيد مكاوى منذ أن وُلد يعيش معاناة منذ كان طفلا من العَوز إلى فقد البصر.. كيف استطاع أن يتغلب على كل تلك العقبات؟**

– حقيقة لا أجد وصفًا لشرح هذه القوة التى جعلته يتجاوز إصابته بالعَمَى؛ خصوصًا أنه وُلد مُبصرًا، وكان يرى حتى عمر تسع سنوات، لو كان وُلد كفيفا كان من الممكن أن نقول إنه تقبّل إرادة الله وكيف سيفتقد ما لم يجربه، والأزمة الأكبر أنه كان طفلًا وقتها تخيّل أن الطفل عندما يفقد لعبة أو تقوم بمَنعه من اللعب يبكى وينهار ولا يتفهم أى ظروف، لكن أن يفقد بصرَه ويتحمّل؛ بل يواصل وينجح فهو أمرٌ يحتاج إلى إرادة فولاذية.

أتذكر أنه كان يحكى لى أن فى هذه الفترة أصيبت أخته بفَقد البصر بإحدى عينيها؛ حيث أصيبتا بنفس الفيروس وتم علاجهما بنفس الطرُق البدائية بواسطة حلاق الصحة وقيام الوالدة باستخدام الوصفات الشعبية بكبس البُنّ والشاى فى الأعين، وكانت النتيجة فقد البصر.

لعلمى الكامل بكل تفاصيل طفولته القاسية كنت أسأله دائمًا: أين تعلمت كل ذلك؟ فطفولته كانت قاسية جدًاعلى جميع المستويات.

الفقر لم يكن ألمَه الوحيد، فالاضطهاد بأشكاله؛ لأنه كان مُعاقًا سواء فى المنزل أو خارجه؛ لأنه عبءٌ على العائلة، إهمال تعليمه كان نوعًا من القسوة من وجهة نظره.

■ **أنا لا أريد أن أتسبب فى إزعاجك بالخوض فى تفاصيل ربما لا تريدين ذكرها، لكن هل يمكن أن نعرف مَظاهر هذا الاضطهاد وكيف تجاوزه؟**

– لا يوجد أى إزعاج، هو كان بالنسبة لأسرته كارثة وعبئًا، وكانوا يقولون له ذلك وأنه أيضًا مَصدر إحراج لهم، وكان يقول لى إن هذا الموقف كان من الجميع سواء الأم

أو الأخوات، وكان له 7 أشقاء كان ترتيبه الأكبر فى الأولاد.

وكان يحكى لى أن الظلام الحقيقى لم يكن ظلام نور عينيه؛ وإنما ظلام الظلم الاجتماعى والأسرى والمشاعر السلبية، هو كان يجيد العثور على الفرحة فى الحياة منذ أن كان صغيرًا وطوال عمره.

قرّر أن يتغلب على الجهل بنفسه والاستعاضة عن عدم ذهابه للمَدرسة بالذهاب إلى الكتّاب ليحفظ القرآن، لكن شيخ الكتّاب كان يضطهده، ولسُخرية القَدَر أن شيخ الكُتّاب كان كفيفًا وكان يضطهد الشيخ سيد لأنه كان كفيفًا!

كان شيخ الكُتّاب قرأ السورة بسرعة البَرق ويطلب منه أن يردد خلفه، وبالتالى لم يكن يستطيع أن يلتقط سوى أول أو ثانى آية ولا يدرك باقى الآيات فيقوم الشيخ بضربه بالخرزانة على ظهره.

وكما كان الشيخ يستغل أنه كفيف ليضايقه قرّر أن يستغل كون الشيخ أيضًا ضريرًا ووضع تحت ملابسه مخدتين على ظهره وذهب للكُتّاب فيقوم الشيخ بضربه وهو لا يتوجع حتى ييأس الشيخ من استخدام هذا الأسلوب معه، هو كان لا يملك إلا أن ينتصر على الشيخ بهذه الطريقة وكان يشعر بأنه أيضًا انتصر على الحياة.

ومع بلوغه التاسعة من عمره حفظ القرآن وجَوَّده ورَتله وأصبحت مهنته التى يمتهنها أن يقرأ القرآن فى المناسبات والمآتم، وعظمته بعد أن ذاع صيته أنه الطفل الشيخ ذو الصوت الملائكى وأصبح معه مال كثير لم يبخل على إخوته وأسرته التى اضطهدته؛ بل أصبح عائلهم الوحيد.

■ ولماذا لم يساعده إخوته الأولاد الآخرون؟

– هو كان يشعر بدوره كأخ أكبر. لك أن تتخيل أن أول نقود قبضها كان كل هَمّه أن يشترى بها طعامًا لإخوته.. الكثير من الطعام، تخيل طفلًا عمره ما بين 8 و9 سنوات ومعه أموال كثيرة بعد فقر شديد طبيعى أن يفكر فى شراء لعب أو حلوى لنفسه وأن يرد على تنمُّر إخوته بإغاظتهم، لكن تصرّفه كان تصرُّف رجُل عاقل وراشد وكريم رَبّ أسرة، بمجرد أن رزقه الله توَجّه للسوق وعاد إلى المنزل مُحملًا بما لذّ وطاب ليطعم أفراد أسرته.

وعندما أصبح معه نقود قرّر أن يدخل المَدرسة ليتعلم من نفسه دون أن يوجهه أى شخص، فلم يكن أحدٌ يخطط له أو يهتم لمستقبله، فذهب إلى المَدرسة وطلب لقاء الناظر وطلب منه أن يلتحق بالدراسة، فرد الناظر وقال له: (وأنا أقبلك ليه دى مش مَدرسة معاقين)، فاقترح عليه أن ينضم كمستمع على أن يعقد له امتحانًا شفهيًا إن اجتازه يسمح له بالاستمرار فى التعليم، كان فى المرحلة الابتدائية وقتها، قرّروا أن يحضر فصول العربى والدراسات الاجتماعية، وفى حصص الرياضيات والعلوم يجلس فى الخلف ويُسمَح له بالمشاركة فى حصص اللغة العربية، لكن

سيد مكاوى مع «وائل» أحد أشهر معجبيه

قرّر أن يتغلب على الجهل بنفسه والاستعاضة عن عدم ذهابه للمَدرسة بالذهاب إلى الكُتّاب ليحفظ القرآن

كان عنده ولع بالعلوم؛ خصوصًا الفيزياء، استمر معه طوال حياته. أنا أتذكر أننا قرأنا معه الموسوعة العلمية فى بداية الثمانينيات عن الفضاء فى يوم ونصف فقط؛ لأن أغلب المعلومات كان يعرفها ويسابقنا فى ترديدها على مسامعنا، ولك أن تتخيل أنه درس كل سنوات الدراسة ونجح بالسمع فقط.

■ هل معنى ذلك أنه نضج مبكرًا وتحمَّل المسئولية ولم يعش طفولته ولم يلعب مع الأطفال فى سنه؟

– أنا أعتقد أنه استمتع بطفولته كطفل إلى أقصى درجة ممكنة، طفل يتمتع بها، هو أكثر واحد محبوب فى الشارع، وكان يلعب مع الأولاد، والمُضحك والمُثير للإعجاب فى الوقت نفسه أنه عَلّم نفسه لعب الدومينو وهو صغير وكان يحب ركوب الدرّاجات!

■ عفوًا يا سيادة السفيرة، هل حضرتك تقصدين يحب ركوب الدراجات كأمنية فى نفسه؟

– لا، أقصد أنه كان يركب درّاجة ويسير بها. هل تذكر لقطة الشيخ حُسنى فى فيلم (الكيت كات) عندما طلب أن يقود الموتوسيكل هو فعلها فى الحقيقة، لكن ركب دراجة عادية وساعده على تحقيق هذه الأمنية شخصيات مهمة كثيرة كانوا يحيطون به أثناء قيادته للدراجة ويوجّهونه، كان على رأسهم «فريد شوقى ونادية لطفى» وشخصيات أخرى، وكانوا يقومون بهذه الجولة فى منطقة حى عابدين.

■ كيف حدثت النقلة من شيخ يرتدي جبّة وقفطانًا حافظ القرآن ويعمل مقرئًا إلى مُلحن ومُطرب، وكيف درس الموسيقى؟

– هو كان دائمًا يقول الموسيقى خطفتنى، ففى هذه المرحلة، مرحلة المراهقة، قام بشراء «جرامفون» وأصبح هَمّه البحث عن الأسطوانات والموسيقى الجديدة ليعرف كيف يفكر العالم وكيف يقومون بتطوير الموسيقى فى الخارج.

هل تتخيل أن هذا الرجل الشرقى (إللى بيقول الأرض بتتكلم عربى) ومزيكته شبه المشربية بيسمع غربى فقط؛ خصوصًا «موتزارت، بيتهوفن، تشايكوفسكى»؟!

فى المقابل موسيقى (المولد) نوع من الموسيقى الصوفية تستطيع أن تقول إنه كان حافظا لكل تراث المولد، فكان يدخل وسط المشايخ الكبار ويسمع ويغنى معهم أغانى المولد فى حُب الرسول وحُب الله. كان يسمع السيرة ويحفظها ويغنيها، فهو عاشها وهو يمارس قراءة القرآن كشيخ، فهو كان يقول إن المولد بيندثر، أتذكر فى أحد الاحتفالات بالليلة المحمدية، وكان سيغنى لحنًا جديدًا له أعدّه للمناسبة ولا أدرى ماذا حدث، تحوَّل على المسرح وظل طوال ساعة ونصف الساعة ينشد ويرتجل وكل من حوله مضطربون ومرتبكون لأنه خرج عن المتفق عليه، لكن الجمهور تفاعل معه وكانت ليلة تاريخية لدرجة أنه بعد ما خلص الناس وقفت قيامًا تصفق وطلبوا أن يعيد، لكنه

سيد مكاوى مع أسرته وأحمد الفيشاوى

كان أُجهد أو كما قال إنه لو حاول ألف مرّة لم يكن يستطيع أن يعيد ذلك مرّة أخرى، فهي فتوح من الله كما كان يسميها.

أتذكر أن (فهمي عمر) رئيس الإذاعة وقتها اتصل به 6 صباحًا وقال له: (إيه إللى طلع إمبارح ده يا عفريت، ده كان إيـه؟!)، فرد الشيخ سيد: (والله ما عارف يا فهمى، ده العيل إللى جُوّايا إللى كان مستخبى)، وكأنه اختزن طفولته كلها وأطلقها فى هذا اليوم.

■ **كيف تعلّم الشيخ سيد عزف العود وحَوّل شغفة إلى دراسة؟**

– لم يدرس الموسيقى فى مشواره وحتى آخر يوم فى عمره بشكل الالتحاق بمعهد والدراسة، لكن دائمًا كان يقول فى كل لقاءاته التليفزيونية والصحفية إن هناك اثنين هما صاحبا الفضل عليه، الأخوان رأفت (إبراهيم وإسماعيل) جمعت هواية الموسيقى والغناء بينهما وبين سيد مكاوى اللذان وضعا تحت تصرّفه مكتبة والدهما رأفت باشا الموسيقية، الذى كان قد استغل أمواله فى ممارسة هوايته المفضلة جمع الأسطوانات الموسيقية والغنائية إشباعًا لعشقه الفن، فكانت النتيجة مكتبة موسيقية ضخمة فى منزله، تضم– بلا مبالغة– آلاف الأسطوانات بين القديم والحديث، سواء لمشاهير الموسيقى الغربية، أو من تراث الموسيقى الشرقية لكبار الملحنين والمطربين آنذاك، أمثال: «عبدالحى حلمى، داود حسنى، سيد درويش، محمد عثمان، ودرويش الحريرى، وكامل الخلعى»، إلى جانب المعاصرين من الشباب وقتها، أمثال: «محمد عبدالوهاب، فتحية أحمد، وأم كلثوم» وغيرهم، وقد استغل ابنه محمود رأفت هذا الحب للموسيقى، وساهم فى تأسيس معهد الموسيقى المَلكى؛ لعشقه للموسيقى والموسيقيين، وكانت المكتبة بالنسبه للشيخ سيد بمثابه بوابة كنز.

سيد مكاوى مع زوجته

ظل سيد مكاوى وصديقاه يسمعون يوميًا عشرات الأسطوانات من أدوار وموشحات وطقاطيق، ليس مجرد سماع فقط؛ بل يعيدونها لحفظها عن ظهر قلب، ثم يقومون بغنائها معًا على آلتى الكمان والقانون اللتين كانتا الأخَوان يجيدان العزف عليها.

كان بيت الأخَوين يضم عددًا من الآلات الموسيقية، سواء تلك التى يجيدون العزف عليها، أو غيرها مثل البيانو والعود، وقد لاحظا شغفه بآلة العود تحديدًا فقرّر الأخَوان رأفت أن يقدما مفاجأة لصديقهما الشيخ سيد، فإذا كانت ظروفه المادية والمعيشية لا تسمح له أن يتعلم العزف على آلة العود كما كان يحلم؛ فإن ظروفهما تسمح لأن يحققا له هذا الحلم البسيط.

دخل المُدرس الذى أحضره إبراهيم بك فسأله الشيخ سيد: (أنـا إمتى يا أستاذ هتعلم أضبط العود لوحدى؟ قال له: ده بعد سنين طويلة علشان تاخد العود تضبطه. قال له: وحضرتك أخدت كام فى الحصة دى؟ رد المدرس وقال: أجرى عن الحصة جنيه.، فقال له: متشكر جدًا يا أستاذ).

بعد ما المدرس خرج قرّر أن السنين دى تبقى ساعات، واستمر يحاول ويتدرب حتى الصباح، ومع شروق شمس يوم جديد كان قد تعلّم كيف يضبط العود. الإرادة هى التى علمته، وهذه كانت هى الحصة الأولى والأخيرة التى تعلم فيها سيد مكاوى الموسيقى).

ولا أجد تفسيرًا كيف كان يجلس على كرسى هزاز وكان يجلس إلى جواره مساعد يُملي عليه (دو، سى، را) .. لم أجرؤ على أن أطرح عليه السؤال حتى: كيف تعلمت النوتة الموسيقية وأنت لم تدخل معهد موسيقى ولا مَدرسة؟! لكن الرد الوحيد هو «الفطرة». ■

هشام سليمان

نهاركم سعيد

ويومكم بيضحك

"رامز" مقاتل هزم «الصمم»

فى كل مَرَّة وفى كل مقال هنتكلم فيها مع بعض عن لحظة سعادة، ممكن تكون اللحظة دى فيها سعادة لكل إللى حواليك، وتكون لحظة حزن ليك أنت شخصيًا، والعكس كمان ممكن يحصل تكون لحظة سعادة ليك وتكون لحظة حزن لكل إللى حواليك.. لحظات سعادة كتير هنتكلم عنها بتحصل لناس كتير، سواء لحظة سعادة بالنصر أو لحظة سعادة بوظيفة كان صعب قوى تتحقق، لحظة سعادة بمنصب مستحيل أو لحظة سعادة للشفاء من مرض صعب جدًا الشفاء منه.

كل أسبوع هنتكلم عن لحظات كتير، وإللى هيجمع كل اللحظات دى إنها هتكون لحظات إيجابية، دائمًا أبدًا هحاول أخلى فيها إن نهاركم يبقى سعيد ويومكم بيضحك.

لحظات بتمُر على الإنسان وهو شايف الناس كلها بتتخانق مع بعض، ولحظات بتمُر وهمّا بيشوّحوا بأيديهم لبعض، ولحظات تانية تحس إن الناس كلهم بيتكلموا مع بعض فى وقت واحد، وأكتر واحد كان بيحس بلحظات دى هو بطل مقالة النهارده.

وكالعادة خلينى أحكى لكم من البداية، والمَرّة دى هنرجع بالذاكرة لوَرَا شويّة إلى أوائل التمانينات، وبالتحديد 1985.

فى مدينة المحلة الكبرى، وفى بيت قديم وفى شقة صغيرة تجلس الجدّة وتحاول أن تهدئ الأب وتقول له متخفش يا ابنى مَراتك جدعة وبتستحمل وبإذن الله هتقوم بالسلامة، وبعد وقت مش قليل ومش كتير بنسمع صوت بكاء طفل.

لتخرج أم نادية الدّايَة إللى مُولّدَة الشارع كله علشان تقول للأب مبروك يا محمود وَلد زى القمر، هتسميه إيه؟ يرد الأب: هسميه «رامز».. بطل مقالاتنا النهارده.

«رامز محمود عباس».. وبدأ يكبر رامز، ولكن شهور قليلة ورامز بيكبر وسط أبوه وأمه وجدته وعمّته أخت أبوه وصديقة عمر أم رامز، ووسط فرحتهم بـ «رامز» وترفض الحياة إنها تسيب العيلة الصغيرة دى

فى حالها ويكتشفوا إصابة أم رامز بمرض السرطان، ومتعديش أيام قليلة لاكتشاف المرض وربنا يختار أم رامز ليصبح رامز بلا أم، ولكن علشان رحمة ربنا واسعة رامز تبنيته عمّته وهى إللى ربّته مع جدته وأبوه.

ودخل رامز المدرسة.. فى بداية المقال قولتلكم فى لحظات ناس كتير بتتخانق مع بعض وبتشوّح لبعض وتحس إنهم كلهم بيتكلموا فى وقت واحد، ده كان إحساس رامز لأنه مش سامع صوت الناس، رامز أصمّ مش بيسمع، وده إللى اكتشفته مُدرسة الدين فى المَدرسة إن رامز مش بيسمع، وفعلًا بدأت العَمّة تحدّى جديد مع رامز؛ لأنها كانت مصممة أن رامز يتعلم كويس زى صحابه إللى فى سِنّه، وبدأ رامز يتعامل بالسّمّعات من وهو سِنّه صغير لحد إعدادى، وبقى عنده حصيلة كلمات يقدر ينطق بيها ويتكلم، ومش بس كده عرف رامز إنه يفهم لغة الشفايف لأى حد بيكلمه.

■■

ومرّت الحياة على «رامز» بحلوها ومُرّها، وحُب رامز القراية، ومش بس كده ده كمان بدأ بمحاضرات الحَكى لأصدقائه فى المَدرسة عن المماليك وعن محمد على والحرب العالمية الأولى، وأصبح حَكّاى شاطر بقصص وطريقة مشوقة رغم صعوبة النطق بس كان بيتكلم كويس فى الحاجات إللى بيحبها وبيحكيها.

وخرج رامز من المَحلة يدَوّر على حلم جديد، وبالتحديد فى أول شهر فبراير فى 2004، ويبدأ رامز فى الحَكى وبيقول وقفت أنا أمام عتبة مَدخل قاعة تحرير مؤسّسة صحفية مشهورة بجاردن سيتى ومعى ملف أحمل فيه موضوعات تم إعدادها بمعرفتى وإشعار يتصدر عنوانها جُملة (من حقك تعرف).

وفضل مُنبهر بكل تفاصيل المكان، ما هو القادم من مدينة المحلة الكبرى إلى العاصمة، فجأة يظهر مساعد رئيس التحرير أمامه بشكل آلى: أيوه يا فندم، حضرتك عاوز حاجة أو جاى لحد؟!

رامز يرد.. والله حضرتك أنا صحفى بجورنال جيل الدلتا بطنطا وعايش بالمحلة وبتابعكم دائمًا ونفسى أشتغل معاكم وعاوز أقابل رئيس التحرير.

إيه يا بنى انت هتحكيلى قصة حياتك، ورّينى إللى بتكتبه وقولّى معاك إيه؟.

بحماس يناوله رامز دوسيه الأرشيف إللى معاه، يأخذه منه ويتصفحه ورامز يكمل كلامه: والله يا فندم أنا معايا دبلوم فنى صناعى.. رد عليه مساعد رئيس التحرير وهو لايزال يقرأ الأرشيف: مش محتاجين حد دلوقتى، ورئيس التحرير مش فاضى، مع السلامة.

ولكن رامز ميأسش وقرّر يكرّر الزيارة تانى لعل وعسى، وفى آخر أسبوع فى شهر فبراير 2004 يذهب رامز لعمل محاولة أخرى ومعه الأرشيف الصحفى بتاعه، والمَرّة دى وصل لسكرتير مكتب رئيس التحرير إللى سأله: ليك معاد معاه؟

رامز: هو فى الواقع لأ.

السكرتير يرد: للأسف يبقى متقدرش تقابله، هو مشغول.

طيب قوله بس رامز عباس محتاج يقابلك ضرورى لمسألة مهمة جدًا من فضلك.

السكرتير: حاضر، اتفضل ادخل واقعد هنا لحد ما أبَلّغه.

وفى لحظة فارقة فى حياته لقى نفسه فى مكتب رئيس التحرير.

الأستاذ مجدى الجلاد، ويجده جالسًا مع مساعده الذى قابله المَرّة الماضية.

الأستاذ مجدى: أهلًا بيك، اتفضل، إيه إللى أقدر أقدمهولك؟.

رامز: والله دا أرشيفى يا أستاذ مجدى ونفسى أكون صحفى بالجورنال.

مجدى مخاطبًا مساعده: ياريت تهتم بيه وجرّب شغله فى المحافظات وهو وشطارته.

يرد المساعد: بس هو جه المَرّة إللى فاتت ومعه دبلوم يا فندم.

يرد الأستاذ مجدى: مش مشكلة، ندّيله فرصة.

رامز يُحَيّى الأستاذ مجدى الجلاد ويشكره هو ومساعده الذى يمتلئ غيظًا.

ولكن قبل ما يمشى قال لـ «مجدى»: على فكرة يا فندم فيه حاجة.

مجدى: اتفضل قول كل إللى عندك.

رامز عباس: والله حبيت بس تعرف أنى أصم ناطق مش سامعك بس فاهمك من الشفايف.

الأستاذ مجدى ومساعده: بيصُّوا لـ«رامز» فى حالة ذهول!

ولكن الأستاذ مجدى بخبرته مستدركًا: ميهمّكش، المهم تثبت نفسك.

■■

ينزل رامز من مَبنى المؤسّسة بجاردن سيتى يملؤه الفرح بنجاحه فى الالتحاق بـ«المصرى اليوم» لتبدأ فترة جديدة من فترات حياته، والدرس إللى عايز يوصّله لنا رامز أوعى تسيب هدفك.. الأحلام اتوجدت عشان نحققها.. وبيقول رامز ومن هنا الكلام على لسانه:

صحيح رغم إنى أصم مش بسمع تمامًا ولبست السّمّاعة 4 سنين بس بقى عندى حصيلة لغوية كويسة جدًا.

وبَحب القراءة ومتزوج وبَحب زوجتى وأطفالنا ومازلت وفيًا لأحلامى كلها وبكتب وببعت لمواقع كثيرة.

يمكن ساعات كثيرة بواجه حُزنى بالضحك وساعات كثيرة بواجه الدنيا بابتسامتى المميزة وليّا أحلام مش فى زراعة القوقعة ولا السماعة ولا نظرة الناس أنا متصالح بشكل كامل مع نفسى وبَحب نفسى كده بظروفها وبعتبر ده تحدى ليّا ولشخصيتى وحياتى.. أنا شاغل نفسى بالشغل وتحقيق أحلامى وأهدافى، والحقيقة أنكم تقدروا تصنعوا أبطال من ولادكم.. أبطال يحبوا ظروفهم ويتأقلموا عليها ويشوفوا أحسن ما فيهم عشان يميزهم عن كل الناس، ربنا خلقنا كلنا عشان نكمل رسالة مهمة فى الحياة.

أكيد فى حكمة لكونك بتمر بظروف غير كل الناس.. عشان كده أنت لازم تكون بطل غير كل الناس.. اخلقوا من ولادكم أبطال تفتخروا بيهم.. واحنا معاكم.

وأنا بقولك يا رامز أنت بطل فعلًا ونهارك سعيد ويومك بيضحك.

وبقول لكل إللى يقرا المقالة نهارك سعيد ويومك بيضحك. ■

عمة رامز

أكيد فى حكمة أنك تمر بظروف غير كل الناس.. أنك تكون بطل

حسن عيسى

كدهون!

«كيس» لكل مواطن

اتفق المصرى المعاصر على الاحتفاظ دائمًا بكيس بلاستك فى متناول يده كحائط صد يغنيه عن سؤال اللئيم وتحسبًا لأى ظرف طارئ قد يتعرض له أثناء معركته اليومية، فلا بد أن يكون جاهزًا لها بالكيس الذى تحول مع الوقت والعشرة لشريك أساسى فى حياة الأسرة المصرية على اختلاف ثقافتها أو مستواها.

غالبًا ما يحتوى هذا الكيس العائلى على أشياء عديدة بداخله لا تمت بأى صلة لتلك الحروف الجميلة ذات الألوان الزاهية الجذابة التى طبعت عليه، فطبيعى جدًا أن يصادفك يوميًا فى طريقك كيس بلاستيك يحمل علامة تجارية لأشهر الماركات العالمية.

إلا أنه قد انتهى به المطاف فى مصر فى يد الحاج محمد والست أم شيماء، حيث تستخدمه كدولاب متحرك تحتفظ بداخله بكل أوراقها الشخصية وصيدليتها الصغيرة ودواء الضغط والسكر وبخاخة الربو بجانب عباية أم فتحى اللى جابتها لها من العمرة وجريدة يومية طلبها منها مجدى ابنها، وهذا بالإضافة لكيس آخر صغير احتفظت به بعناية شديدة فى قاع الكيس الأم تضع فيه بقايا حلة المحشى اللى ها تفوتها على أختها عنايات علشان بتتوحم على صوابع ورق العنب من صنع إيديها، وهكذا يتحول كيس أم شيماء لملخص حياة جمعت فيه شيئًا من كل شىء قبل أن تتخلص منه تمامًا فى نهاية اليوم عندما ينتهى الغرض منه وتلقى به فى عرض الشارع ليحمله الهواء مع الأكياس الأخرى إلى سماء القاهرة وكأنها سرب من الطيور المهاجرة تمضى إلى مصير مجهول.

ولقد اعتاد المصرى المعاصر أن يتعامل مع الكيس البلاستيك كما يتعامل تمامًا مع الحب. هناك من يفتخر به ويظهره للجميع معلنًا عما بداخله فى سعادة وربما فى تفاخر بما يحمله نجد هناك من يخفيه عن الأعين كنوع من الستر حتى لا يرى ما بداخله من متعلقات وأسرار قد تعريه أمام المجتمع وتفضح ملامحه الحقيقية التى يحاول أن يخفيها داخل هذا الكيس، ولعلك تلمس هذه الحالة بوضوح وبمنتهى السهولة إذا قمت بجولة حرة فى فى شوارع المحروسة وليكن ميدان رمسيس خير المثال على ذلك، حيث يجتمع الصعيدى بالبحيرى وباين أخوه البورسعيدى بالباعة المتجولين وصانعى الأكلات الشعبية سريعة التحضير وأصحاب بدلة حمادة بجنيه وعروسة للعيل وكلها بضاعة تنتظر دورها كى توضع داخل كيس وكدهون ستجد كل إنسان يسير وفى يده نوع معين من الأكياس البلاستيك تعكس ملامحه وشخصيته وثقافته ومستواه المالى، حيث إن الكيس البلاستيك أصبح البديل غير الشرعى للحقيبة الجلدية لارتفاع أسعارها بشكل مبالغ فيه ترهق ميزانية البعض وكدهون.

وهناك أيضًا هواية تشترك فيها معظم الأمهات عمومًا على اختلاف مستوياتهم وهى هواية جمع الأكياس المستعملة، خصوصًا تلك الأنواع الفخمة ذات العلامات التجارية المميزة تمامًا كهواية جمع الطوابع قديمًا فنجد الأمهات تحتفظ بأعداد مرعبة من الأكياس المستعملة فوق الدولاب وتحت مرتبة السرير بلا هدف واضح تحت بند أنها حاجات يمكن تنفع وغالبًا مش بتنفع فى أى حاجة غير أنها تتحول مع الوقت لنواة لكركبة منزلية تستمر وتنتشر وتتوغل من جيل لجيل تحمل لنا ذكريات وحكايات جميلة وربما غير جميلة، ولكنها حفرت فى وجدانا كشىء من ريحة الحبايب.

وأتذكر فى طفولتى عندما كنت أذهب لبيت جدتى العتيق بأبوابه الضخمة وسقفه المرتفع كانت تثير خيالى تلك الأكياس الغامضة المرصوصة بعناية

ستجد دائما علاقة حميمية تجمع المرأة المصرية و«الكيس» البلاستيك فهى تحتفظ به بجوار قلبها فهو خزنة أسرارها

فائقة فى غرفة صغيرة يطلق عليها أوضة الخزين لا يدخلها أحد غير جدتى فقط ويمنع من دخولها أى شخص آخر؛ وخصوصًا الأطفال، مما أشعل خيالى الطفولى بما تحتويه هذه الغرفة من أسرار وحكايات ومثيرة تختفى خلف تلك الأكياس لدرجة أنى أتخيلها مليئة بكنوز على بابا والست مرجانة وأموال الأربعين حرامى، وعندما امتلكت الشجاعة لاقتحام تلك الغرفة فى خلسة من الجميع حتى أستحوذ على الكنز بمفردى ودون أن يشاركنى فيه باقى أطفال الأسرة، ووقفت على بابها وهمست: افتح يا سمسم، وطبعًا سمسم ما عبرنيش واضطريت أفتح الباب بنفسى لأكتشف سرها وصدمت عندما وجدتها تحمل أعدادًا مهولة من مجلة «طبيبك الخاص» جمعت داخل أكياس بلاستيك بعد موت جدى واتنست مع الوقت، وهكذا تدمرت أسطورتى الأولى فى أن أستحوذ على كنز على بابا المستخبى فى أوضة الخزين وأتحول لرجل أعمال مشهور وأتجوز الست مرجانة وأنتج لها أفلامًا ومسلسلات كتير، وانتهى بى الحلم الكبير إلى أنى أحمل تلك الأكياس المتربة على كتفى وأحاول أن أبيعها بالكيلو لتاجر الروبابيكيا مقابل حفنة جنيهات قليلة اشتريت بها تذكرة سينما لأشاهد فيلم على بابا والأربعين حرامى علشان أعرف الخطوات المطلوبة للدخول للمغارة دون جدوى طبعًا، وعند خروجى من السينما فاجأنى مطر غزير ولم أجد غير تلك الأكياس التى وضعتها فى جيبى لإخراجها على الفور وأضعها فوق رأسى كشمسية وأجرى بها تحت المطر وماتبلش وكدهون.

ستجد دائمًا علاقة حميميه تجمع المرأة المصرية والكيس البلاستيك تحتفظ به دائمًا بجوار قلبها فهو خزنة أسرارها وجامع أشيائها ومنقذها وقت اللزوم، بالعكس العلاقة عند الرجالة يشوبها حالة من توتر وقلق بدأت منذ أن طلبت منه أمه وهو فى ريعان الشباب وكامل أناقته أن يأخذ كيس الزبالة معاه وهو نازل فى سكتة (ويستمر الأمر مع زوجته بعد ذلك مضافة إليه عدة أكياس أخرى) وكدهون.

لعل أشهر أنواع الأكياس المصرية على الإطلاق ذلك الكيس الذى قررت إحدى الزوجات الرائدات فى هذا المجال تجربته للاحتفاظ بقطع صغيرة من جثة المرحوم جوزها داخل هذا الكيس ليكون مستقره الأخير بعد الذبح والتقطيع وخلافه، ثم قذفت بذلك الكيس بكل قوتها لأقرب صفيحة زبالة ليكون طعامًا مغذيًا لقطط وكلاب الشوارع كصدقة جارية على روح المرحوم، وعندما نجحت تجربتها تم تعميمها على باقى الزوجات القاتلات الحائرات بجثث أزواجهن، ثم خلدتها مدام نبيلة عبيد بعد ذلك فى فيلم سينمائى عظيم، حيث شاهدناها تسير فى منتهى الرقة والعذوبة على شاطئ البحر لتخرج أشلاء زوجها المهدور دمه من داخل الكيس البلاستيك الأسود والمخصص أساسًا لجمع الزبالة فى مشهد رائع يلخص نظرة الزوجة المصرية لزوجها لتلقى به فى عرض البحر ليكون طعام السمك (بعد أن شبعت منه قطط وكلاب الشوارع) وكدهون، وما زلت أتذكر ذلك المحامى الذى أعاد لى أوراق قضيتى فى كيس بلاستيك، وعندما لاحظ اندهاشى ضحك ضحكة العالم ببواطن الأمور وقال لى: صدقنى كده أضمن كثيرًا بدل ما يقع عليها شوية مية تطمس ملامحها ولا واحد غشيم يحط عليها كوباية شاى أو لا قدر الله تقع منها ورقة وتبقى أزمة كده قضيتك فى أمان، وكل قضية ولها كيسها، وهكذا استلمت كيس قضيتى كاملة نظيفة ومرتبة رغم أنى قد خسرت القضية ذات نفسها، ولكنى كسبت الكيس وكدهون.

وفى زمن الكورونا ذهبت لأسحب مرتبى من ماكينة ATM فوجدت سيدة أنيقة ومحترمة تقف أمامى فى توتر وقلق وتنظر يمين ويسار وفجأة التقطت كيس بلاستيك صغير من حقيبتها ووضعت فيه الفلوس التى سحبتها بالجوانتى البلاستيك، وعندما وجدتنى أتابعها بعيون الفضول ابتسمت وقالت لى فى خجل: أعمل إيه الفلوس دلوقتى كلها جراثيم وميكروبات ماقدرش أتعامل معاها مباشرة ولا أحطها فى شنطتى أنا ماعرفش مين إللى كان مسكها قبلى وكان عنده إيه، علشان كده لازم أحتفظ بها فى كيس بلاستيك وأتخلص منه أول ما أتصرف الفلوس.. ابتسمت لها فى تعالى الحكماء وأنا أتحسس كيس البلاستيك بتاعى إللى فيه ساندوتشات البيض بالبسطرمة إللى عملتها لى مراتى قبل ما أنزل من البيت! ■

روزاليوسف 2

يرسمها:
مصطفى سالم

هو

لأ طبعاً .. أنا مش سى السيد خالص على فكرة !

تجريم العنف ضد المرأة

مصطفى سالم 2021

وهى

يرسمها:
ياسمين مأمون

هى هى .. بلاش عنف لتتحبس !